العدد 102 من ملحق جريدة "أوروك الأدبي" يحتفي بالأديب العراقي عبد الهادي سعدون

نخيل نيوز | العراق

احتفى العدد (102) من ملحق "أوروك الأدبي"، الجريدة المركزية لوزارة الثقافة والسياحة والآثار العراقية، بالأديب والأكاديمي العراقي عبد الهادي سعدون بنشر نصّه الموسوم "بلد متنقل"، مع نصوص أخرى من منجزه الإبداعي الذي تميَّز بخلطه السيرة الذاتية بالفانتازيا، وعشقه لعالم الكاتب الأرجنتيني بورخيس، كما كتب عنه ذلك الناقد طالب الرفاعي في استهلاله

النقدي.

كما ضم الملحق عدداً من الدراساتِ والمقالاتِ والنصوصِ والترجماتِ بأقلام نخبةٍ من الكُتّاب والمفكّرين والشعراء والمترجمين، ومنهم الناقد سعيد الغانمي الذي كتب مقالاً عن "الكنز والدفن والنفق"، وخصّ الشاعر أديب كمال الدين الملحق بنصوص "مواقف الروح والحلم والخوف والعزّة" ،وترجم حيدر الكعبي فصلاً من رائعة الشاعر ناظم حكمت "ملحمة الشيخ بدر الدين"، وكانت دراسة الكاتب أسامة غانم بعنوان "قراءة في رواية الحيوان وأنا" للقاص أمجد توفيق، وكتب طالب عمران المعموري عن "الغموض اللغوي وأبعاده الدلالية في نصوص الشاعر جبّار الكوّاز"

كما تزيَّن العدد بتخطيطات الفنان التشكيلي صاحب أحمد، فيما كان غاليري الأخيرة مُخصّصاً للفنانة التشكيلية نبراس هاشم .

غاليري أوروك

uruk2020@yahoo.com

أوروك الأدبي URUK

نبراس هاشم

سيرة مضيئة

* مواليد بغداد ١٩٧٥
* دبلوم معهد الفنون الجميله / تصميم
* بكلوريوس كليه الفنون الجميله / رسم
* بكلوريوس فنون جميله / نحت
* ماجستير طرائق تدريس
* ماجستير فنون جميله / نحت
* ادرج اسمي ضمن اهم فناني العالم عام ٢٠١٤ في مدينة الفن في باريس
* المعرض الشخصي الاول ١٩٩٦
* المعرض الشخصي الثاني بغداد ٢٠٠٨
* المعرض الشخصي الثالث عمان ٢٠١٣
* المعرض الشخصي الرابع المعهد الثقافي الفرنسي - بغداد ٢٠١٤
* المعرض الشخصي الخامس باريس ٢٠١٤
* المعرض السادس تركيبي مفاهيمي مشترك مع الفنانة زينا سالم (قرابين) ٢٠١٥
* المعرض الشخصي السابع لاطفال مرضى السرطان ٢٠١٦
* المعرض الثامن للوحات ثورة تشرين في المعهد الثقافي الفرنسي ٢٠١٩
* المعرض التاسع (مفردات نبراس هاشم) قاعة برونز ٢٠٢٢
* المعرض العاشر مزدوج بين قصر الثقافة و رابطة وجدان الثقافية / نفحة رافدينيه في تونس / تونس ٢٠٢٢
* معرض ألق للفنانين المتميزين في بابل المنطقة الاثريه ٢٠٢٢
* معرض فلسطين وزارة الثقافه ٢٠٢٤
* أكثر من ١٢٠ من المعارض المشاركة داخل وخارج القطر منذ عام ١٩٩٦
* اقامت عدة ورش فنيه تشكيلية تثقيفية في عدة مناطق في العراق
* مدربة فنون جميلة والتعامل مع الخامات المختلفه ضمن الأعمال الفنية
* تدريسية حاليا في معهد الفنون الجميلة.

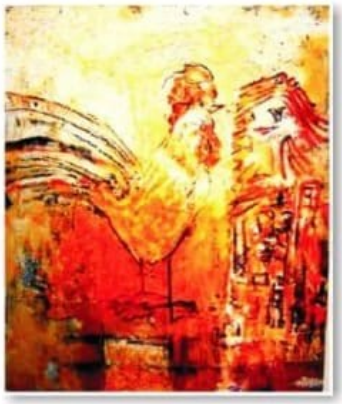

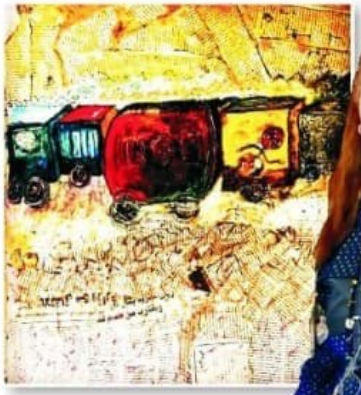

www.palms-news.com

أوروك الأدبي
URUK
العدد (102) الإثنين 26 آذار 2024
نصوص 13
Uruk2021@yahoo.com

عبدالهادي سعدون، يكتب بطريقة لا تشبه إلا نفسها، فهو يخلط بين السيرة الذاتية والفانتازيا، وبحضور الواقع بوصفه الأرضية التي يتحرك عليها هو وسيرته وفانتازيته وحقيقة عيشه. (..) وأنا أقرأ قصصه أجدني أشير بوضوح إلى أن هذه القصص تحمل بصمة خاصة بصاحبها. تجمع بين كتابة السيرة الذاتية وكتابة الفنتازيا والواقعية. وأن ما يميّزه هو قدرته على أن يجعل كل قصة تلد تاليتها، و بلغة شاعرية فاتنة أقل ما يمكن أن يُقال عنها (السهل الممتنع)، وهذا التوصيف يشمل كل قصص المجموعة بلا استثناء. وأخيراً لابدَّ من القول أن كتابات عبدالهادي سعدون ومثلما تقدم بصمته الخاصة فإنها تشير صراحة الى عشقه لعالم الإرجنتيني بورخيس، وأظن أنه طالبٌ نجيب لمعلم عظيم.

طالب الرفاعي

بلد متنقل

ومختارات أخرى من المنجز الإبداعي للكاتب الكبير د. عبدالهادي سعدون

بلد متنقل

احتفظت برواية كاتبتها منذ فترة طويلة ولم اكملها لأسباب عديدة لا أتذكرها الآن أو على الأقل لا تعنيكم أسبابها، أسميتها "بلد متنقل". ليس فيها شيء خارق أو شخصية لا مثيل لها، فقد كتبتها في شهر واحد وأنا في حمى تزيف دموي في الأنف يتوقف لساعات ليعاود جريانه من جديد. بالطبع لا يمكنني إحالة السبب، بعدم إكمال الرواية لتزيف الأنف المفاجيء، فأحدنا يكتب بالبد او ينثر على حروف الكمبيوتر بانيد كذلك، ولكنني لاستخدم هذه الحيلة بمثابة مؤثر على الرأس الذي لا يستطيع التفكير بشيئين في آن واحد، وحينها كنت مشغولاً بطريقة لايقاف النزف المرعب، ولما لم أفلح توقفت عن كتابة الرواية، فتوقف النزف. اعدت المحاولة فعاودني نزيفي، فوجدت من غير المجدي الاستمرار بكتابتها، وألقيت نفسي بذلك، ولكنني بعد ذلك ابتكرت متعة الحديث عن الرواية غير المكتملة، اضيف لها هذا وانقص لها من هناك، احيانا تطاول علي ما يصلني من أفكار جديدة لقراءاتي روايات أو كتب تعنيها النفسي فأدسها في متن الرواية بمثابة فكرتي واسلوبي وشخصياتي. كما لم أفتر عن سرد وقائعها على الجميع، مثلما أفعل الآن. لعلها فرصة لمداراة فشلي في إتمامها، أو لأبحث عن سبب توقفي عن كتابتها مثلما عليه توقفي منذ فترة بعيدة عن كتابة أي شيء ولو مقال صحفي تافه لجريدة تافهة لا يهتم بقراءته أحد. الحقيقة في كل هذه التفاصيل ان التي لم يعد للنزف أبداً، وظرف عليه تحولات غريبة فقد تصاغر إلى درجة مثالية ولم يعد ضخماً متطاولاً شبيهاً بالمقار، والذي ما ان تتلقى بمراة حتى تعرف من الوهلة الأولى بأنك عربي فتبتعد صائحة على أسنانها "خووووج"، كما أن حاسة شمه اتسعت وقويت، وأنا الذي كنت أفتقد لها طوال حياتي. ليس في الأمر حيلة ولا سبب معين، فهذا وضعي ووضع أنفي، ومع ذلك فهذه قصة أخرى ليس لها علاقة ببروايتي الناقصة التي اتلمك عنها (للذين يشككون بوجود الرواية فليراجعوا المخطوطة في المكتبة العربية في مدريد تحت رقم: (Manuscrito/Pa?s 138/Port?til)

روايتي غير المكتملة (بلد متنقل) أسرد فيها وقائع شاب ترك بلده وهي تجهز نفسها لحرب جديدة، ولكنه في خوفه الدائم لا يرغب حتى في فتح تواصل مع أهله بعضي أيامه وكأنه سافر في نومه لا ينوي على شيء سوى متعة الانتظار الطويل بلا أمل. أثناء تجواله في أحد الأسواق الشعبية يتفاجأ بأحد الفقير ينادي عليه ويدعوه للدخول في دكانه. كان الدكان بمثابة أسطبل حقيقي هجرته الخيول، في وسطه طاولة تضم عليه عديدة بألوان وأحجام مختلفة. يختار له من بينها صندوقاً أخضر بـــلا أية علامة خاصة، وعندما يلتفت من الدعوة والصندوق، يغير الفقير بأنها حاجته التي جاء من أجلها، ويضيف: " لا تستغرب يا ابن العم، فكثيرا ما زارت غيابات لا تبوح بها، ولكنها تكاد تعلن عن نفسها ما ان تقترب منها. هذه هي هديتك افعل بها ما تشاء". لا يدعه الفقير الذي يناديه بابن العم ان يرفض الهدية أو ان يتـــاءل عن تفاصيل كل هذه اللعبة، فظل يحدثه عن معاناته مع الزبائن المولعين وسط صراخ البـــاعة الآخرين وعياط أطفاله وتعيب زوجته التي جرته أخيراً من بقية قميصه ليأتي ويساعدها بتهوية غرف الأسطبل لان أبناً لهما قد شعط بثيابه وزكم الأنوف برائحته لان الشاب قد اصبح أمام حقيقة حاجته التي يعرفها الفقير أفضل منه. كما أخبره بـــأنك في الصفحة ٣٠ من الرواية، والصفحة بحجم ورقة فلسكوب قياس ٤ دي. يقرر حملها والابتعاد عن اسطبل ابن العم قبل ان تجتاحه رواح أخرى غير معرفة. في شقته وسط المدينة يجازف ويفتح الغلبة ليعرف ما بها. أحيان كثيرة تنصرف عكس ما ترغب، ربما هو الفضول او الرغبة الحقيقية التي لا تقر بها، أغلب المرات بناء على ما يخططه الكاتب بطبيعة الحال. إزاء دهشته، يجد نفسه أمام هاتف متنقل (ملثم من يسميه موبايل، خلوي او محمول الى آخر المسميات المبتكرة التي تجتاحنا بفضل اتساع الخيال وفقر الثقة بإيجاد البديل المناسب). مع الهاتف كتيب تعليمات عن كيفية تشغيله مع تحذير بسيط يخلك المسؤول الوحيد عنه بعد ذلك وان لا مجال للتراجع بعد الموافقة. الهاتف كما يعرف الجميع (واللعنة على التكنولوجيا المتطورة) ينقلك برمشة عين للوصول الى أي بلد ترغبه. هاتف الفجري له خط وحيد وصوت بمثابة مطقة ناشفة ولكن متطاولة، حذره بسطر الرواية ما ان تنطق احـــدهم من جهة ما (تفضل أخي. معك بغداد.)!

لعل من السذاجة وصف تفاصيل فصول الرواية ومعاناة البطل (فكما قلت لعن له رغبة متابعة فصول الرواية وتطورها، فما عليه سوى استعارتها من المكتبة) لانه بعد اكتشافه رقم الهاتف لم يعد يهنأ بنوم او وقت فراغ او حتى ولو استراحة في اي مقهى او زاوية من زوايا المدينة. سيعرف ان الهاتف لا ينطق او يلفس كما أن لا زرّ له القدرة السحرية بإيقاف الاخرين من الحديث الطويل الذي ستضح به شقته لينتقل الزء النيـــابة والشـــوارع المجاورة، فما كان من الجيران الا ان تقرقـوا وغادروا الحـي من ضجيج لا يعرفون له سبيـــا في صباح يوم آخر وهو جالس عند زاوية مقهى (من المفترض ان يكون فصلاً جديداً، مع الأخذ بنظر الاعتبار انني لم اتوقف عند فصل اعواء ابنة الفجري المتلهية لصاحبتها) سيقترب منه شخص يبدو غريباً عن المدينة يطلب منه بلهجة واثقة وان بدت له مبهمة بأن يساعده بحمل أغراضه فالجميع في الانتظار. قبل ان يصل شقته هارباً من الحشود ناعمة الوجوه، سيجد اكثر من واحد في انتظاره. عندما يحاول البحث عن الهاتف سيعثر على الاجابة: الآخرون انقطوا عبر فوهة الهاتف من بغداد الى مدريد. في البدء الأحجار الصغيرة، ثم الثياب فالأصابع فالشعر فالوجوه المعروقة والأجساد والأعراض، ولم يتسوا بالطبع الذكريات الثقيلة، اللزجة، التي توقفـــي عن الكتابـــة لا يدعني أتذكر ما خططت له كنهاية للرواية، ولم تعد تهمني طالما أصبحت من انسياني العاطفية، كما لا أفكر حقا بالعودة لمراجعة مخطوطتها للشروع بكتابة ما يقلصها. ليس لي قدرة خارقة على رتق ما لم تستطع خياطته، فالحلول السحرية ليست من قدراتي الشخصية، على الاقل في الكتابة. وكذا عنيت تقبلها كما اسردها لك. الشيء الوحيد الذي استطيع اضافته هنا هو انني ومنذ فترة بدأت تتنابني تغيرات عديدة لا أجد لها تفسيراً. طبيبي الخاص بقي منشغلاً بحكاية نزيف الأنف الذي توقف بلا سبب. وتحولاته الجمالية، عن سماع ما يصاحبني. ولكن طبيبي ليس الوحيد في هذا، فطبيبتي تركتني تظن بي بداية جنون أو حيلة مني للهرب أو لانني لم أعد قادراً على تهييج جمر ثثوراها. صاحب العمل تعذر بالريح القليل ليطردني لاصبح رقماً اضافياً في قائمة العاطلين. بينما أصدقائي القليلون في المدينة لم يعودوا اغبين بردودي في كل مرة وانا أعدتهم عما اضافه يومياً في تجوالي في مدريد. ذلك انني بدأت ارى وجوهاً تركتها منذ زمن طويل في بغداد، مقاهي تغيرت وأجهتها وشوارع المحت أسماؤها فالانتيلية لتتسمى بأسماء عربية اعرفها عن ظهر قلب في المرة الأخيرة وأنا ربط بوابة الشمس في مدريد بحثاً عن الشمس او ما يشبهها، ما ان رمشت بعيني طرداً للغبار، مثلاً، وفتحتها ثانية، حتى رأيت واجهة البندية تتغير معالمها وتختفي الوانها وأعلامها وزخرفتها الهندسية التي تعود للقرن الثامن عشر وتحل محلها ما يشبه طاولة حجرية عملاقة كتب تحتها على قطعة من الحديد: نصب الحرية.

خرجت بما يشبه الطلق لتنفجر وتتمدد ماسحة بيد نزقة زوايا المدينة.

بما يشبه الهرب او الخوف او مجرد الابتعاد عن كل ما يحدث من تغيرات في مدريد، وانني بدأ تاسها وبذاياتها تذكره بما تركه خلفه منذ سنين، فكان أن خطف الهاتف وركض ليعيده للفجري. بحث عنه في دكاكين السوق ولم يجده. حاول التخلص من الهاتف بلا جدوى، بيعه، تحطيمه أو اي لعبة فنية من تلك التي تذكر فيها في أية قصة عندما تعينا الحلول الواقعية عن ايجاد بديل، ولانني تعرضت قبلها بأيام (اثناء كتابتي لرواية) لسرقة هاتفي الشخصي من جيب الجاكيت في محطة مترو الاتفاق، فكرت انه حل مناسب لمأزق بطل الرواية، وهو ان يضيع الهاتف بوسيلة مشابهة. فكان أن سرقه فجري آخر (في حالتي سرقه مغربي دون أن يرمش له جفن) لم يلمح منه سوى خصلة جديلته المتزجرجة وهو يهرب. قبل ان اتوقف عن اكمال فصول الرواية بسبب نزيف أنفي، كان البطل قد وصل لان يجد نفسه من جديد في بغداد بشوارعها وناسها وقنوطها الذي لا يشبهه حزن آخر في العالم. لقد انتقل عالمه الى مدريد، ولم يعد أمامه من حل سوى ايجاد وسيلة للهرب مجدداً، فتركته يبحث في الأسواق عن جواز سفر مزيف يشتريه ليهرب عن طريق الشمال لأي بلد يقبل به لاجئاً.

قبل أن أنهش لأتأكد من صدق ما رأيت او لمواجهة أشباحي المتكاثرة كما يسميها اصحابي، تقدم مني شخص يشبه جواد سليم، تحدث نصب الحرية، بلحيته من القطن الأبيض المنقط ليسألني ان رأيت من سرق قطعة منها، سألته: اية قطعة. قال: ذرة الأمل. ولانني لم استطع اجابته بدقة تركني لسؤال آخرين، بينما كنت أراقب الجنود تحت النصب يحرجون حجراً ضخماً ويتركونه في منتصف الساحة ليأتي بعد حين سكر ويجلس عليه بمثابة كرسي (لقطة سينمائية محببة كنت قد رأيتها أو قرأتها او قصها على احدهم سابقاً) فيزوع احشاءه في عتبة تلك مزنجرة ثم يتجشأ بصوت عال كأنه منبه سيارة لا مجال لتفادي مسرعتها حتى لو أغمضت عينيك. كما فعلت لحظتها. وكأنها المرة الأخيرة التي تجرب فيها لسعة الحياة.

مأتم عراقي

مات منذ سنتين رجل عراقي في مدريد. كنت قد سمعت بالخبر وأنا في محل طارق (عراقي آخر) في وسط المدينة، عندما مررت للسلام وشراء أغراض من محله لصديقتي الاسبانية التي اكتشفت أن محل طارق لبيع الجملة، يبيع بضاعته بنصف سعرها في المحلات الأخرى. قلت ما ان تتذكر شيئاً حتى تبعث بي. كنت أغلب المرات أرفض بشدة بعد ان قطعت علاقاتي بالعراقيين وأخبار العراق. لم يعد هناك ما يهمني في بلدي، لا صديق ولا أهل، فهل أحسن الى تراب معفر بالدم والبارود فارقته منذ اكثر من عشرين عاماً بالطبع كل أعذاري لا تقنع صديقتي، وعدم ارضائها، يعني ما يعنيه، حرمان من الفراش وزعل لا أول له ولا آخر قد ينتهي بطردي من جنتها، وهذا يعني شهور حرمان طويلة حتى اعثر على من ترضى برفقتي. لذا تعلمت اخيراً الا انافش طلباتها وامضي مثل خروف مقاد من حبله حتى منصة ذبحه. لا تقلقوا انني أبالغ في الوصف، فالحقيقة ان التعذيب أفضل لي من الوصول بقدمي حتى محل طارق.

الواقع ان المعضلة ليست في طارق ولا في الآخرين، فأنا اعترف أنني لم اعد أطيق لغو الآخرين، خاصة أبناء بلدي. ما ان يرونني حتى يبدأون بفتق خاصرتهم الحكائية ويرمونني بكل ما عرفوه وسمعوه وقرأوه او شاهدوه. مرة اعترفت امام مجموعة من العراقيين التي لا يهمني سماع اي شيء عن البلاد، كما انني لا اتابع ما يدور في العراق. فقد لبستُ التلفزيون منذ فترة طويلة، ليست القنوات العراقية والعربية على السالاليت، بل جهاز التلفزيون نفسه لم اعد اقترب منه في بيت صديقتي وكنت قد تخلصت منه ومن الراديو في غرفتي المتواضعة التي استاجرتها مع عمانة تايلندية لا افقه منهم حرفاً ولا هم يفهمون بوجودي سوى في يوم دفع الايجار الشهري. ولكن ان تعترف لهم، كنت أتصور انهم سيعتقونني ويذركون عدم اهتمامي بكل هذا. لكن الحال العكس وبدت ما ان التقى بأحدهم حتى يفاجئني بكل تفاصيل الشهور الماضية، مفصلاً رأيه وما سمعه وقرأه وشاهده. كل واحد منهم (لا يعطي فلتة) كما يقال عندنا، أي لا يمنح منتفساً للتساؤل او ابداء الرأي أو الهروب حتى.

لأكن صادقاً في وصف لقائي الاخير هذا بطارق. لم أره على عهده، كما كان منشغلاً بمكالمة هاتفية مع شخص عراقي آخر من اللهجة التي كان يتكلم بها، ثم بدا حزينا وساهماً. ما ان انتهى حتى رأيته يسلم على بعجالة ثم يأمر عماله ببعض الأشغال ويخبرهم أنه سيغيب حتى العصر لأنه سيمضي خارج مدريد، مضيفاً انه سيحضر عملية دفن عراقي في مقبرة البلدية. وقبل ان يخرج ناداني (هي ساعتين ونلف، ومن الله الثواب)، قلت له ولكن من هو هذا العراقي، انا لا اعرفه؟ وقف بوجهي وقال: الله يخليك يا صديقي، هو الموت له صاحب.. كلها ساعتين تؤدي الواجب وترجع، لا تقل لي عندك شغل، ترى اعرف سوالفك؟!

لم تفد احتجاجاتي ولا قسمي بأن صديقتي تنتظرني في البيت، فكان أن امسكني من يدي ومشى بي حتى سيارته، هناك وجدت سيارات أخرى لعراقيين ينتظرونه، دفعني لأركبه في سيارته، شغل كاسيت قرآن ولم يسمح لي بأي تساؤل سوى التنصت والاستماع لصوت عبدالباسط عبدالصمد وهو يتلو سورة يوسف الذي أكله الذئب ظناً أو حقيقة.

أفضل شيء في الموت، أو عملية المشاركة في الدفن هذه، التي لم اسمع أي كلام ولا تعليقات ولا تساؤلات من طارق ولا من أي عراقي آخر سلم عليّ قبل أن يمضوا بسيارتهم الشخصية على أمل أن تلتقي جميعنا في منزل مقبرة (المودينا) المدريدية.

عندما وصلنا بعد أكثر من ساعة، طلب مني طارق ان انزل وانتظره قرب الاستعلامات حتى يركن السيارة في الكراج الخاص بالسيارات. جلست عند دكة قرب شجرة كانت بمثابة علامة للمدخل، دخنت سيكاراً أحمله معي عندما أخرج كي اعاقب نفسي بعدم تدخين القليون الذي لا يزال من أمي. حاولت التفكير طوال الوقت بمن يكون هذا العراقي، وحاولت مع نفسي ان اصنع له تاريخاً طالما ان طارق لم يحدثني عنه، كما ان تساولي عنه لم يحظ بأي اجابة سوى انه عراقي وصل قبل أشهر عن طريق المغرب في قوارب الموت، الذي أهداه موتاً مؤكداً، لانه مرض فجأة ما ان حطت قدماه أرضاً اسبانية ولم يجدوا علاجاً له، وأشاروا في أوراق وفاته بأنه اصيب بنوبة تشنج غريبة لم يألفوا مثلها اطلاقاً، سيبت له تخشباً جسدياً وتخطط دون العثور على أية مواد غريبة في معدته. مات وحيداً في غرفة في مستشفى مدريدي. اخبرني ايضاً ان الوحيد الذي صلى على روحه، قس عجوز كان هناك بالمصادفة وظنه مسيحياً، بيد ان المعرفة أخيرت القس

www.palms-news.com

أوروك الأدبي
U R U K
العدد (102) الأثنين 26 آذار 2024
Uruk2021@yahoo.com
نصوص 14

بأن الرجل عراقي ومسلم أيضاً، لكن القس كما حكوا لهم (قصد لطارق نقلاً عن آخرين، وبدوره أخبرني بذلك) لم يجب المعرضة بشيء، بل هز رأسه وبقي يصلاته خاشعاً الخمس دقائق قبل أن يريت على صدر العراقي ويمضي خارجاً.

طال انتظاري ولم المح المرأة طارق ولا أي عراقي آخر. فكرت ان امضي للبحث عنه في الكراج، وتكلني بنتجوالي فيه لم ار أياً منهم ولا عثرت على سيارة واحدة تهم، فكان ان عدت من جديد لمدخل المقبرة وقررت الانتظار خمس دقائق. لم يات احد، فكرت ان أعود للبيت وحدي ولكن موقف الاستعلامات في المقبرة أخبرني انه على المشي لربع ساعة او اكثر حتى اقرب محطة وحيدة، وهناك علي ان انتظر باص المساء. قررت اذا الدخول والبحث عنهم في المقبرة، طالبت معلومات من الموظف، وعندما دقق اوراق دفتر (واردات الموت لهذا اليوم) اشار الى الجهة المقصودة وترك بيدي مخططاً بإشارات واسهم ليساعدني الوصول في السليم لهدفي ودون ضياع في عالم القبور المترامية.

كاي تلميذ نجيب اتبعت تعليمات الخريطة حتى وصلت النقطة المشار لها، وهناك عثرت على الجمع الذي فاق اكثر من مائة شخص. فتريت وجدت حركتي احترامياً لطقوس الموت، ولكن من زاوية متاحة لي حاولت تصفح الوجوه المحيطة بي لاري اين يكون طارق او أي من العراقيين الآخرين. ولكن زاويتي كانت ضيقة لم تتح لي سوى متابعة حركات الدفان وتأوهات الأقرب مني. كانت تلد بسين حسين واخر تنهدات نسوية مما جعلني بشك من انني عند قبر العراقي لانني لم اعلم بحضور امرأة معاً. خمنت انها لا بد وان تكون زوجته او ابنته او امرأة احد هم. لكن مكاني في الخلف وعدم قدرتي على رؤية الوجوه والتمعن بها جعلاني خائساً في مكاني. ركزت كل طاقتي على التقاط من حركات الدفان والتوصل لمعرفة اي اية مرحلة من الطقوس قد وصل. لم يكن لي من مخرج حتى الانتهاء من العاتم كاملاً لكي استطيع العثور على طارق ومرافقته في العودة. في الوقت نفسه كنت اشعر بحضور اخرين من الخلف، بعضهم يقف ابعد مني بمتر او اقل. بدريكات واصوات متذأرة سمعت صوت رجل يامرنا بالخشوع وبدات صلاته مردداً جمله الاولى بتالاتينية وبعد لحظة صمت اخرى سمعته يردد صلات مريم العذراء والجمع من ورائه. في تلك اللحظة وحسب عرفت انني لم اكن عند النقطة الصائبة، والقبر الذي انا بقربه ليس بقبر العراقي، والجمع المحيط بي لا يعرفون عن العراق اكثر من معرفتهم بالعربية.

حسبت وانا اتابع العملية كاملة متأملاً العثور على فرصة للتراجع والهرب، ولكنني بعد فترة التفت لارى قلب عملية السملاني بأنني في الواقع كنت وسط الحشد تماماً ولا مجال للخروج دون ان اضايق الجميع واثير انتباههم، فقررت الاستمرار حتى النهاية. مع مرور الوقت كنت اشعر بتداقع الناس من خلفي وكلهم يرغب بالاقتراب اكثر، بينما اخرون قد اتخذوا مكاناً قصياً لهم وصعدوا مثلي في انتظار الدفن. بينما كنت اتابع ما اعتقدت انها حركات الدفان او احد مساعديه، سمعت من ناحية كتفي الأيمن احد هم يقول (البقاء لله)، صاح بها باعلى صوته باسبانية لا غبار عليها. بعد صمت لفترة، اعاد الرجل جملته بصوت اعلى. حينذاك التفت لارى وجه صاحب الجملة، لم اتعرف عليه. بعد حين صرخ بصوت اعتقدت انه قد خرج من مكبرة صوت لان الجميع قد التفت اما لبرى مصدر الصوت او ليوثبوه بالنظرة الصارمة. حينذاك وحسب لمحت اكثر الوجوه الحزينة ولم اعرف اي واحد منهم. لكن بعد ذلك لم يعد الرجل الذي على يميني إلى الصراخ بل خلع قربي حتى أنني تو كنت في موقف اخر كنت سأظن بانه يرغب باحتضاني.

بصوت أقرب للهمس سالني: رجاء، هل هذا مأتم السيد تشيمو؟

قلت له: الحقيقة انني لا اعرف اسمه، ولكنني لا اعتقد بان اسمه تشيمو فقد سمعت القس يردد اسماً اخر.

زفر الرجل في أذني وخرجت كلماته ممطوطة: يا للكارثة!

-عذراً؟

-لا شيء، فقط لعن ساعة حضوري. هذا هو المأتم الثالث الذي احضره، دون نجاح بأن أصل لغايتي. لا بد انهم قد دفنوا السيد تشيمو منذ فترة طويلة، اعتقد انني اخطات بموعيني وحدي.

طمأنته قائلاً: لا تظن انك الوحيد، انا كذلك هنا بالخطأ، جئت لحضور دفن رجل عراقي ويبدو أنني في مأتم اخر ليس لي علاقة به!

-اه انت واحد منهم... رايت اصحابك قبل ربع ساعة، هناك في الجانب الاخر وشارفتهم الدفن.

-اذاً انتهوا من الدفن؟

-اعتقد ذلك.. هل تريد أن أقودك لغيره، اعرف الطريق؟

-لا.. لا اعتقد انني ارغب بذلك، سأستمر مع هذا الميت الذي لا اعرفه.

ثم مكتئباً، فكرت ان الرجل الذي على يميني سيتركني وبمضي بحاله، لكنه بقي صامتاً جوار ي. سمعت من الوسط صلوات القس ودعاءه ووصل لسمعي تنهدات وتحيب بالبكاء يتعالى شيئاً فشيئاً، ولا انني شعرت برجل جواري يدفعني للامام والحشد الذي من خلفنا يتحرك باتجاه القبر. مضيت معهم بصف نسير كرتل عسكري. ما ان وصلت حتى وجدتني قرب النعش الممدد في الحفرة والمغطى ببعض الازهار وحفنات تراب منهارة فوقه. بحركة لا ارادية انحنيت وقبضت على حفنة تراب ورميت بها على الصندوق وبقيت للحظة مراقباً الخشب اللامع للنعش واستمت نظراتي للصف المقابل الذي اتشح بالسواد وتميزت من بينهم المراة التي اعتقدت انها كانت تبكي منذ لحظات لانها كانت ترقيني بعينين دامعتين ومنديلها بيدها. شعرت بكلمة تقلبي ولم استطع السيطرة على قدمي لكي انهض فساعدني الرجل الذي جاء من خلفي. تلذمت وقبلت السيدة واحتضنت البقية ومشيت بعيداً عنهم

بأنني في تلك اللحظة وحسب شرقت بغصة لم اتوقعها وبدات الدموع تنهمر على وجهي دون ان يكون لي قوة على كظمها ولا معرفة تعليل لها. بينما كان هواء المقبرة يلطم وجهي مجففاً دموعي، كانت فضاي قد جابت القبور كلها قبل ان تجد طريق الخروج والمضي متسياً حتى اقرب محطة باص والهرب من هناك.

ما ان وصلت البيت (بيت صديقتي وليس غرفتي في الدار التايلندي)، وقبل ان اسمع لنهاتها التي ستجرني للفراش كعادتها، او تساولها عن البضاعة التي ارسلتني لشرائها، دخلت الصالة واغلقت بابها على وتمددت في الاريكة ورحت في نوم عميق لم احس فيه على اي صوت. نهضت مع الفجر، لم يكن خيط ضوء قد بان بعد. دخلت وشربت قدح قهوة. لم يكن لي قدرة على متابعة اية فكرة، فرحت انتظر متابعاً السماء من النافذة وهي تبدل الوانها كحرباء في صحراء. بعد قليل فتحت جهاز الكمبيوتر لانلهي بتصفح الانترنيت قليلاً لاتاني في تلك اللحظة لم اتوقعها وبدات الدموع تنهمر على وجهي دون ان يكون لي قوة على كظمها ولا معرفة تعليل لها. بينما كان هواء المقبرة يلطم وجهي ملففاً دموعي، كانت فضاي قد جابت القبور كلها قبل ان تجد طريق الخروج والمضي متسياً حتى اقرب محطة باص والهرب من هناك.

ما ان وصلت البيت (بيت صديقتي وليس غرفتي في الدار التايلندي)، وقبل ان اسمع لنهاتها التي ستجرني للفراش كعادتها، او تساولها عن البضاعة التي ارسلتني لشرائها، دخلت الصالة واغلقت بابها على وتمددت في الاريكة ورحت في نوم عميق لم احس فيه على اي صوت. نهضت مع الفجر، لم يكن خيط ضوء قد بان بعد. دخلت وشربت قدح قهوة. لم يكن لي قدرة على متابعة اية فكرة، فرحت انتظر متابعاً السماء من النافذة وهي تبدل الوانها كحرباء في صحراء. بعد قليل فتحت جهاز الكمبيوتر لانلهي بتصفح الانترنيت قليلاً

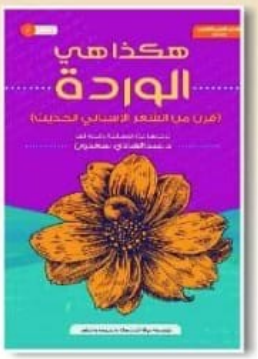

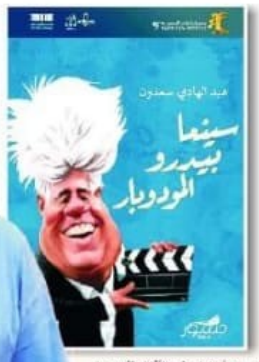

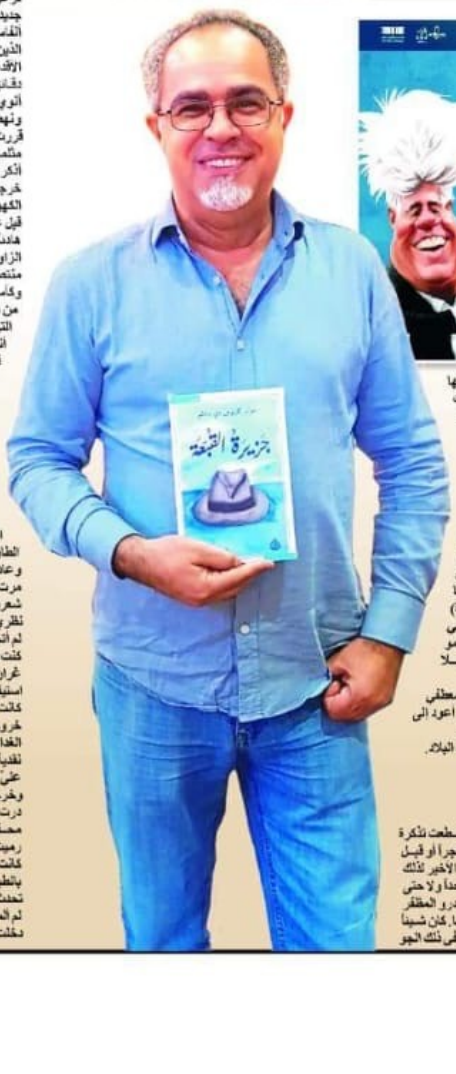

لخشيتي من ان تداهمني الأفكار نفسها التي اخرجتني باكياً من المقبرة. دخلت بريدي الالكتروني ووجدت بانتظاري من ضمن رسائل أخرى واعلانات ودعايات، رسالة من صاحبي الشاعر المصري احمد يماني، يخبرني فيها بأنه مر اليوم بتجربة غريبة عن الموت، ليس هنا مجال لذكرها وسيقص علي حكايتها ما ان يراني، وفي الوقت نفسه يرسل لي قصيدة يطلب رأيي فيها كتبها من وحي الحادثة التي يرجل روايتها لي (وبعد ان احسني كاس نبيذ من الفنينة التي جلبتها له من شمال اسبانيا في سفرة اخيرة) يقول القصيدة بعنوان (الجنازة) وهي التالية :مات تشيمو هذا الصباح. تشيمو ليس صديقي. لكنه مات. كان يتحدث بلا انقطاع كمن يسدد ديناً قديماً لكلمات التي على وشك ان تهجره. غداً سالبس معطفي الأسود وامضي الى الجنازة وعندما اعود الى البيت سابتسم لنفسي. اليوم مات تشيمو؛ احد معارفي ربما انا اكم اعد غريباً في هذه البلاد.

التربية السينة

كان ذلك ليلاً، في وقت متاخر، ربما قطعت تذكرة دخول صالة السينما على دور الواحدة فجراً او قبيل ذلك بقليل. ما اتذكره هو انه كان الدور الاخير ذلك اليوم. قررت ان امضي توحدي، لم ادع احداً ولا حتى صديقتي العاشقة لأفلام الاسبانية يبدو المقتفر والتي تركتها في شقتي غاطسة في نومها. كان شيئاً ما دعاني للخروج مشياً من البيت في تلك الجو

غريبا لم يطرأ عليّ سابقاً فيما مضى هادئا بلا حراك، التحرك الوحيد كان لبدي وهي تقارب الكأس من فمي لأعاود الشرب. كان الجميع في وجوم، استغراب او ربما فضول اكبر. حسناً فكرا وبحالتي وقتها بي مس من الجنون، حتى سمعت تعليق واحد منهم (بالطبع لم اعلق على أية كلمة) قائلاً بما ينبغي اكمال جملة سبق وان تداولها معهم: لا بد انه واحد آخر من أولئك! لم التفت له ولم اسأل عن أي شيء يقصد ولا من هم أولئك الذين حشرني بينهم. تركت قطعة نقدية على الطاولة ثمن البيرة، زررت معطفي وخرجت دون ان ارفع عيني.

قرب السينما مددت يدي لجيب بنطلوني الخلفي لاتاكد للمرة الأولى من اختفاء محفظتي حقاً.

بقيت خمس دقائق على بدء الفيلم، اكتشفت أنني قد وضعت بطاقة دخول السينما في صفحة كتاب حملته معي، فتريت من البوابة وقررت الدخول لرؤية الفيلم. بحساب بسيط فكرت ان ابلغ الشرطة صباح اليوم التالي، طالما ان الوقت متاخر وان يجدني نفعاً الان، ثم ان اقصى شيء سأخسره القليل من النقود، بطاقات تعارف وهويتي الشخصية. محيت من ذهني كل ما جرى قبل دقائق وركزت انتباهي على تفاصيل الفيلم.

في الصالة لم تكن سوى أفراد لا تتعدى اصابع اليد الواحدة. اتخذ كل منا مكانه في زاوية بعيدة عن مقاعد الآخرين. مر الفيلم وكنت اتابع تفاصيله بلا مبالاة. الحقيقة أنني يجب أن اعترف بأنني لم اتابع الفيلم اطلاقاً، حتى انني بعد كل هذه السنين لا اتذكر ما يدور الفيلم. وسط الضوء الخافت للصالة، طرا الخاطر أنني قد مررت بهذا الحادث في سنوات ماضية، الفرق انني اليوم في مدريد والحادثة القديمة حصلت معي في بغداد. لكن رد فعلي في بغداد كان مختلفاً تماماً. عندما اقترب مني السارق (كان رجلاً وليس امرأة) وانا قرب سينما أطلس، ظننت به قد ضل طريقه ولا بد انه يقترب ليسالني عن مكان معين. ولكن ما ان أصبح في مواجهتي حتى شعرت بيده تتشكل ما يشبه سكين ليخزني بها في رقبتي، بتاثير الضربة الحتيت وكدت اسقط. عندها ادخل الحرامي يده في جيب بنطلوني الخلفي وحمل محفظتي وجرى مهرولاً في الشوارع الخلفية لبغداد القديمة. مترنحاً قمت على قدمي واحسست باكثر من واحد يساعدني ويجري معي للحاق بالسارق. كنا نركض في البداية اكثر من خمسة، تكاثروا العشرة، قبل ان اشعر بنفسي وكاتني محاط بكل ناس الشارع جرت في اكثر من شارع فرعي واتجاه ولم اعثر على أي اثر له، حتى وجدت نفسي من جديد امام صالة السينما. جلست عند البوابة لاسترجع انفاسي، ثم شعرت بحركة اقدام اخرى تعود. ظننت بهم اولئك الذين حاولوا مساعدتي، ولكنني لم التفت لاي وجه اعرفه. الاقدام تسارعت وهي تدخل صالة العرض حيث لم يبق سوى دقائق على بدء الفيلم. راني مراقب الصالة وسالني ان كنت أنوي الدخول، فأفلمم قد ابتدأ. نظرت له، اكاد على ساعدي ونهضت للدخول دون ان افكر بأية عاقبة معينة، كنت قد قررت الدخول وحسب.

مثلما حدث معي في بغداد (نسيت حتى عنوان الفيلم) لم اعد اذكر شيئاً من فيلم المظفر ولا تفاصيل ما جرى لي بعدها. خرجت من صالة العرض ومضيت في طريقي ما بين مقاهي الكهوف مرة أخرى. دخلت واحداً منها لاشرب كأسي الأخيرة قبل عودتي للبيت. وقفت قرب الطاولة وطلبت بيرة. كان البار هادءا ولم ار احداً قربي. بعد لحظات سمعت اصواتاً من الزاوية البعيدة، لمحت شخصين بثلاجين، ربما عاشقان في منتصف الليل يرغبان بالعزلة والكأس. مضيت بتاملاتي وكأسي حتى سمعت صوت امراة تقترب من الطاولة وتطلب من النادل شيئاً ما. التفت ورايتها، كانت هي نفسها، الفتاة التي مرقت محفظتي. ركزت على وجهها المغمض وحزرت انها لا تتعدى العشرين، بملابس هيبية وعشرات القلوب في أذنيها محلاة بحلق مختلف الالوان. ادركت انني انظر لها فابتسمت لي وغضت النظر. كنت ما ازال انظر لها بتركيز، حينذاك التبهت لتبدل في ملامح وجهها وعودتها للنظر بوجهي. بقينا ننظر لبعضنا دون اي تحرك ولكنني بدون كلمات افهمتها ما لم افكه سابقاً.

لم تغمض عينيها ولا جاءت بحركة، بل العكس، فتريست اكثر مني واشارت لي دون اية كلمة ان ادعو ها لكاس على حسابي. اشرت للنادل الذي وضع كاس بيرة كبيراً أمامها. ودون انتظار. رفعت كأسها وجرعته دفعة واحدة، مسحت فمها ورايت تعابير امتشان على وجهها. وضعت الكاس الفارغة على الطاولة، زررت معطفها وهمت بتركي. لكنها توقفت للحظة وعادت لتخلف. فتريت مني وكنت اظن انها ستحدثني ولكنها مرت من جانبي، مستني بنفس طريقتها الاولى، او هذا ما شعرت به وخرجت من البار دون ان تركض حتى اختفت عن نظري. لمحت في الزاوية الرجل المرافق لها ما زال ينتظر.

لم اتحرك وبقيت ماسكاً بكاسي. لم تمض سوى دقائق حتى كنت قد عدت في طريقي مروراً بساحة إسبانيا، قاطعاً جادة غران بيا لاصل شقتي وانام بكل طمأنينة حتى ساعة استيقاظي على صوت صاحبتي.

كانت قد نهضت قبلي، غسلت وافطرت وعندما حانت ساعة خروجها للعمل، سألتني ان اقرضها بعض النقود لشراء الغداء عندما تعود ظهراً. فتحت عيني ورايتها تلوح لي بورقة نقدية وهي تغيرني: سحبتها من محفظتك، لم يبق لي وقت، على الاسراع للوصول لمحل عملي. ثم انحنت وقبلتني وخرجت.

درت براسي الى حيث أشارت صاحبتي، ووجدت ما يشبه محفظتي على الكرسي فوق بنطلون الليلة الماضية الذي رميت به على الكرسي. ليس هذا مجال لتخمين اي خدعة. كانت محفظتي نفسها، في بغداد لم احظ بنهاية مشابهة بالطبع. لا اعرف من تكرني عن تلك الاشياء المرعبة التي تحدث لنا دون ان نفقه تعليلاً مناسباً لها.

لم المس المحفظة ليومين، بقيت مرمية في مكانها وكنت كلما دخلت غرفة النوم، اتأملها كمذنب ينتظر القصاص.